

DUAN Jin, SHI Nan, YAN Fengying, WANG Shifu, ZHANG Yue, HUANG Yaping, HUA Chen, YANG Jianqiang, LENG Hong, CHEN Zhiduan, ZHUO Jian

كلمة التحرير: تمرّ تخصصات التخطيط الحضري والريفي في الصين بتحول عميق. فتعديل مسار التحضر، وبناء منظومة تخطيط الفضاء الإقليمي، والتطور السريع للتقنيات الرقمية والذكاء، وتزايد تنوع الطلب الاجتماعي، كلها تدفع تخصص التخطيط ونظام تعليمه إلى إعادة التشكل. يتخذ هذا الحوار الأكاديمي موضوع «تخطيط تعليم التخطيط»، ويدعو عددا من الخبراء البارزين في الأوساط الأكاديمية والمهنية إلى مناقشة قضايا جوهرية مثل ماهية التخصص، ونماذج التعليم، والتمكين التقني، وتكوين المواهب. وهو في آن واحد خلاصة للتجارب السابقة واستشراف للمستقبل.

التمسك بالأصول والابتكار: ترسيخ أساس التخصص

يشير الأكاديمي DUAN Jin والبروفيسور HUANG Yaping وغيرهما إلى أن جوهر التخطيط الحضري والريفي يكمن في «الفضاء»، وهو ما يميزه عن غيره من الحقول. وسواء تعلق الأمر بحوكمة المدن في عصر التجديد العمراني، أم بالتنسيق الشامل ضمن منظومة تخطيط الفضاء الإقليمي، فإن القدرة على التخطيط والتصميم المكاني تظل الكفاءة المركزية للمخطط. ولا يعني التمسك بالأصول الجمود عند التقليد، بل يعني، على أساس تقوية التصميم المكاني وفهم قوانينه، تعزيز التكامل مع الاقتصاد والإدارة والإيكولوجيا والإدارة العامة وغيرها من التخصصات، وتكوين كفاءات مركبة تجمع بين العمق التخصصي والأفق العام. وكما يقول البروفيسور WANG Shifu، فإن القيمة الجوهرية لتعليم التخطيط الحضري والريفي هي «بناء فضاءات جميلة»، وهي رسالة ينبغي أن تتوارثها الأجيال بعقلية تجمع بين العلمية والفنية.

توجيه الإصلاح بالطلب وإعادة بناء النظام التعليمي

يؤكد البروفيسور SHI Nan أن إصلاح تعليم التخطيط ينبغي أن ينطلق من الطلب. فمع تغير وظائف الحكومة، وضبابية حدود المهنة، وتعميق المشاركة الاجتماعية، لا بد أن ينتقل تكوين المخططين من نمط واحد إلى مسارات متنوعة. وتقدم قراءة البروفيسورة ZHANG Yue لقانون الدرجات العلمية الجديد دعما مؤسسيا للتكوين «المتمايز بحسب المستوى والنوع»: فمرحلة البكالوريوس تركز على الثقافة العامة والأساسيات، بينما تبرز مرحلة الدراسات العليا تمايز الدرجات المهنية والدرجات الأكاديمية. وتقترح البروفيسورة LENG Hong أن يتعمق المحتوى التعليمي من الفضاء الحضري والريفي إلى الفضاء الإقليمي، وأن تستند طرائق التدريس إلى الواقع الافتراضي والتقنيات الذكية لإقامة تفاعل ثنائي الاتجاه بين «التعليم» و«التعلم» في مواجهة تحديات عصر المعلومات.

التمكين الرقمي الذي وفتح آفاق التخصص

يرى كل من البروفيسورة YAN Fengying والبروفيسور ZHUO Jian وغيرهما أن على تخصص التخطيط أن يحتضن التقنيات الرقمية والذكاء بفاعلية، وأن يعيد بناء منظومات الإدراك الدينامي واتخاذ القرار. فالبيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي ليسا مجرد أدوات، بل قوتان مهمتان تدفعان انتقال نموذج التخطيط من «الاعتماد على الخبرة» إلى «الاعتماد على العلم». ومن خلال بناء نماذج زمكانية ديناميكية وأنظمة ذكية لدعم القرار، سيكون تعليم التخطيط مواهب «هندسية جديدة» تتقن التصميم المكاني التقليدي، وتترع أيضا في تحليل البيانات وتطبيق التقنيات. أما نموذج «التصنيف والتدرج» الذي يقترحه الأستاذ المشارك CHEN Zhiduan فيهدف إلى تعزيز مرونة التخصص، بحيث تستطيع الكفاءات التكيف مع مشاهد متنوعة مثل حوكمة الفضاء الإقليمي، والتجديد الحضري، والإصلاح الإيكولوجي.

التقدم التعاوني والاستجابة لقضايا العصر

في مواجهة استراتيجيات وطنية مثل بناء الحضارة الإيكولوجية والتحديث على النمط الصيني، تزداد مسؤولية تخصص التخطيط. يشير البروفيسور HUA Chen إلى أن تعليم التخطيط ينبغي أن ينتقل من «نقل المعرفة» إلى «تحفيز التفكير»، وأن ينمي لدى الطلاب القدرة على الاستباق والابتكار. ويؤكد البروفيسور YANG Jianqiang، من خلال مثال التجديد الحضري، أن التدريس ينبغي أن يهتم بالتعاون بين التخصصات وبالحلقة العملية المكتملة، حتى يواجه الطلاب التحديات الحقيقية للمشكلات الاجتماعية المركبة. وتدل هذه المساعي على أن تعليم التخطيط ليس مجرد تدريب على الكفاءة المهنية، بل هو أيضا نقل للقيم: غايته المصلحة العامة، ومنطلقه المدينة من أجل الشعب.

خاتمة

إن طريق التحول مليء بالتحديات، لكنه يحمل كذلك فرصا جديدة. فهذا الحوار الأكاديمي يجيب عن أسئلة الحاضر ويتطلع إلى المستقبل. ونأمل أن تتبنى الأوساط الأكاديمية والمهنية موقفا أكثر انفتاحا، وأن تدفع تكامل التخصصات والتعاون بين الحكومة

والصناعة والجامعة والبحث، لكتابة فصل جديد في تخصص التخطيط الحضري والريفي وتعليمه. وبهذا وحده يمكن تثبيت الاتجاه وسط موج العصر، والإسهام المستمر بالحكمة والقوة في بناء موئل جميل يحقق التناغم بين الإنسان والطبيعة.

تصنيف المكتبة الصينية: TU984؛ رمز الوثيقة: A

DOI: 10.16361/j.upf.202501001؛ رقم المقال: 10-0001-01(2025)3363-1000

تأملات واستكشافات في إصلاح التعليم لمواجهة التطور المستقبلي لتخصص التخطيط الحضري والريفي

DUAN Jin (أكاديمي في الأكاديمية الصينية للعلوم؛ أستاذ في كلية العمارة بجامعة الجنوب الشرقي؛ عضو مجموعة تقييم تخصص التخطيط الحضري والريفي في لجنة الدرجات العلمية بمجلس الدولة)

في أغسطس 2023 عقدت جامعة الجنوب الشرقي ندوة استراتيجية حول تطوير تخصصات العمارة والتخطيط والمناظر الطبيعية. وفيما يخص مستقبل التخطيط الحضري والريفي طرحت في الندوة ثلاثة مقترحات إصلاحية. وبعد مناقشة جادة وحصولها على قبول واسع بين أساتذة التخصص، بدأنا تجربة إصلاحية جريئة. ويمكن القول إن هذه الخطوة كانت صعبة، لكنها ضرورية في ظل تغير بيئة بناء التخصص، وتحول الصناعة، وضغوط تطور العلم.

1. التحديات

يواجه تخصص التخطيط الحضري والريفي اليوم خلفيات جديدة تتعلق بمسار التحضر، والتنمية الاقتصادية، والتحول الاجتماعي، وانتقال الطاقة. وتواجه المدن ذاتها مشكلات ملحة مثل الكوارث المناخية، والأحداث العامة، وتراجع الأحياء القديمة، والإفراط في التطوير العقاري. كما يواجه التخصص تحديات جسيمة ناجمة عن البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي والتحول التقني. لذلك أصبح من الملح استكشاف إصلاح تعليمي موجه يحافظ على جوهر التخصص ويعزز مزاياه، وفي الوقت نفسه يتكيف تماما مع حاجات المستقبل ونماذج تطوره. ولا يتعلق الأمر بمجرد توافق معرفي، بل بكيفية التنفيذ وفقا لخصائص كل جامعة.

ففي جامعة الجنوب الشرقي مثلا، ينبغي أن يستند الإصلاح إلى مزايا البحث والتصميم المكانيين، وأن يحقق نموذج «قوة محور التخصص، واتساع في الأساس، وتعدد في المخارج». وتعني قوة الجسم الرئيس أن تكون القدرة الجوهرية للتخطيط الحضري والريفي المتمركزة حول الفضاء قوية، وأن تبرز مزايا الجامعة في البحث والتصميم المكانيين. أما اتساع الأساس فيعني ألا ينحصر الطلاب في مجال واحد؛ وتعدد المخارج يعني الجمع بين تفكير التصميم والطرائق التقنية من جهة، والتخطيط والعمارة والإدارة، والبيانات الضخمة، والتقنيات الذكية من جهة أخرى. وهذا التحول يستلزم إصلاحات منسقة في التدريس والقبول ومدة الدراسة، كما يشمل إصلاح هيئة التدريس، إذ يحتاج الأساتذة أيضا إلى التعلم مدى الحياة.

2. إصلاح التدريس

ينبغي أن يولي تكوين مواهب التخطيط الحضري والريفي أهمية للقيم والإحساس بالرسالة، وأن يعزز في الوقت نفسه القدرات الذاتية للتخصص، وعلى هذا الأساس يتوسع ليكون قدرة تنافسية جديدة.

يشمل جوهر التخطيط الحضري والريفي كلا من التخطيط المكاني لضبط استعمالات الأرض، والتصميم المكاني لتحسين بيئة العيش وتجديدها وتشغيلها. وفي مواجهة الخلفيات الجديدة والمشكلات الملحة والتحديات الصارمة، يحتاج تكوين المواهب إلى قدرة علمية على إدراك قوانين التطور الحضري والريفي وفهم قضايا المجتمع والثقافة الحضرية، كما يحتاج إلى أدوات وطرائق تقنية لازمة للبحث والممارسة التطبيقية.

إن التحول في التخطيط يتطلب إصلاح النظام التعليمي السابق. ففي مرحلة الأساس ينبغي أن يكون التعليم متينا وواسعا. فتكوين القدرة على التخطيط والتصميم المكاني لا يقتصر على مهارة اليد أو إنتاج بدائل التصميم، بل يجب أن يقترن ارتباطا وثيقا بتاريخ المدن وثقافتها، ونظريات التطور المكاني، وفهم الحاجات الاجتماعية والاقتصادية. كما ينبغي تعزيز تعلم أدوات جديدة مثل البيانات الضخمة، والاستشعار عن بعد، والمحاكاة، والذكاء الاصطناعي. وقبل ترسيخ أساس البكالوريوس لا ينبغي المبالغة في التركيز على ابتكار التصميم، بل ينبغي تقوية قدرة الطلاب على اكتشاف المشكلات وصوغها، وأن تتمحور دروس التصميم حول كيفية حل المشكلات، بحيث لا يظل تكوين التخصص محصورا في جودة اللوحات أو العلامات، بل يتجه إلى مسارات أكثر تنوعا.

3. إصلاح القبول

انطلاقا من اتجاه تطور قطاع التخطيط في المدى القريب والمستقبلي، يواجه القطاع تعديلا في بنية الأعمال ونمط الخدمة، كما تتغير طرائق الممارسة. لذلك ينبغي للتعليم وتكوين المواهب أن يهتما بدرجة أكبر بشمولية المهارات المكانية، بما في ذلك القدرة على تقييم قيمة الموارد المكانية، وتخطيط الشكل المكاني، وتصميم الأمكنة وبنائها، وحوكمة الضبط المكاني، وتقديم خدمات

التشغيل المكاني. وقد نشأ تخصص التخطيط في جامعة الجنوب الشرقي على قاعدة العمارة، وكان سابقا لا يقبل إلا طلاب العلوم. ومن أجل التكيف مع الحاجة إلى شمول المهارات المكانية، صار يقبل طلاب العلوم والآداب معا، وهو تحول يساعد على تكوين أنواع متعددة من مواهب التخطيط والبناء في المستقبل.

4. إصلاح مدة الدراسة

خفضت جامعة الجنوب الشرقي مدة البكالوريوس في التخطيط من خمس سنوات إلى أربع، مع إبقاء الدراسات العليا كما هي. وينبغي للتخصص أن يخدم تطور صناعة تخطيط الفضاء الإقليمي، لكنه لا يستطيع تحمل كل مهام القطاع. ففي الماضي، ومع تطور المهنة، ظل نظام معرفة التخطيط الحضري يتوسع، كما ظلت محتويات التعليم في التخطيط الحضري والريفي تزداد. ويحتاج السوق إلى أساس عام واسع وإلى تخصص عميق، ومعظم الطلب على المواهب يتركز على مستوى الماجستير وما فوقه؛ لذلك ينبغي أن يبني التعليم على قاعدة واسعة ثم يتجه إلى مسارات ماجستير متعددة.

بعد إصلاح مدة الدراسة، يمكن أن توفر السنوات الثلاث الأولى أساسا عاما، وأن تسمح السنة الرابعة للطلاب، بحسب خصائصهم، باختيار مقررات متعددة مثل التصميم والتخطيط المتنوع، وخدمات التقنيات الرقمية للحكومة. وتتصل الدراسات العليا بهذه الخلفيات المتنوعة في البكالوريوس وبمقررات الماجستير، لبناء منظومة تعليمية جديدة. وينبغي الربط بين أهداف تكوين البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، وتثبيت جوهر التخصص، والتفاعل النشط مع التخصصات الأخرى، وإصلاح المنهاج والمقررات والتعليم العملي بصورة منهجية، حتى تتضافر الصناعة والتخصص والمهنة للتعامل مع صعوبة الطلب المتعدد.

في المستقبل سينتقل حجم تكوين مواهب التخطيط الحضري والريفي من التوسع السريع إلى التطور الرشيد. وتختلف المشكلات التي تواجهها أنواع الجامعات. لذلك يجب أن يحافظ تعليم التخطيط على التعليم العام المرتبط بجوهر المهنة، وأن يبرز مسارات تكوين ذات خصائص مميزة وتعاونيا كليا مع القطاع، وأن يتطور بالإصلاح والابتكار استجابة للطلبات الجديدة.

ينبغي أن يتجه إصلاح تعليم التخطيط نحو الطلب

SHI Nan (نائب الرئيس التنفيذي والأمين العام للجمعية الصينية للتخطيط الحضري؛ مخطط أول بدرجة أستاذ؛ نائب رئيس اللجنة الفرعية التوجيهية لتعليم التخطيط الحضري والريفي في مؤسسات التعليم العالي التابعة لوزارة التعليم)

إن أهم «منتجين» لتعليم التخطيط هما مواهب التخطيط ومعرفته. كيف ينبغي إصلاح تعليم التخطيط؟ الجواب الأهم يتوقف على الطلب.

أولا، من يحتاج إلى تعليم التخطيط؟ إن إنجاز عمل التخطيط يحتاج إلى دعم التعليم. خلال العقود الماضية، كانت وظيفة التخطيط الحكومية، وقطاع التخطيط، والتخصص الجامعي ثلاثة أبعاد متطابقة بدرجة عالية، وكان تعليم التخطيط يزود الإدارات الحكومية ومؤسسات إعداد الخطط بعدد كبير من الكفاءات بأسر الطرق وأكثرها فاعلية. لكن الطلب تغير الآن. فمن حيث وظائف الحكومة، لم تعد إدارات الموارد الطبيعية وحدها بحاجة إلى المخططين، بل تحتاج إليهم أيضا إدارات الإسكان والبناء الحضري والريفي، والتنمية والإصلاح، والزراعة والريف، والثقافة والسياحة، والبيئة، والنقل، وإدارة الطوارئ. لقد مضى زمن كان فيه التوظيف محصورا في إدارات التخطيط وصناعاته، وكان التعليم يتكفل وحده بإمداده بالموارد البشرية. إن تنوع مسارات العمل يدفع التعليم الجامعي في التخطيط إلى التحول. ومن جهة أخرى، دخلت الصين مجتمعا حضريا؛ وصار صناع القرار بمختلف مستوياتهم والجمهور العام بحاجة إلى معرفة تخطيطية. ولذلك يجب على تعليم التخطيط، إلى جانب التعليم المؤهل للدرجات، أن يتحمل مسؤوليات التعليم الأساسي والعام والمستمر ونشر المعرفة، وأن يفتح مقررات أساسية وعامة في فهم المدينة والتخطيط لمختلف التخصصات، ليكتسب جميع طلاب الجامعات قدرا من المعرفة بالمدينة والتخطيط، ويفهم عدد أكبر من الناس قوانين التطور الحضري ودور التخطيط.

ثانيا، ما نوع العاملين في علوم التخطيط وتقنياته الذي يحتاجه العصر؟ لقد اتخذ تعليم التخطيط دائما المهارات المهنية هدفا مركزيا، ولا سيما التصميم والتخطيط. لكن الطلب لم يعد محصورا في مؤسسات إعداد المخططات؛ فإلى جانب الإدارات الحكومية، لا يمكن لأعمال المجتمع المحلي أن تنفصل عن مشاركة المختصين بالتخطيط. إن مئات الآلاف من المجتمعات الحضرية والريفية، وأكثر من 20 ألف بلدة مؤسسة، ونحو 3000 وحدة على مستوى المحافظة، كلها تولد طلبا كبيرا على خريجي التخطيط الجامعي، فضلا عن أن أكثر من 300 مدينة على مستوى الولاية لم تحقق بعد تغطية كاملة بكفاءات التخطيط الجامعية، كما أن سوق خدمات التخطيط في الخارج لم يفتح بما يكفي. ومن ثم ينبغي أن تصبح الحاجات القاعدية والعالمية «سوقا» مهما لتعليم التخطيط. ومن جهة أخرى، في مواجهة تنوع التنمية الاجتماعية، ينبغي أن تكون تنمية قيم التخطيط جزءا لا غنى عنه من ثلاثية «المعرفة - المهارة - القيمة» في البكالوريوس، وهي لا تزال نقطة ضعف في التعليم القائم. كما أن نقل القيم المتضمن في تعليم التخطيط يحمل بطبيعته خصائص التعليم الأيديولوجي والسياسي، وهو ميزة مهنية تستحق التفعيل.

ثالثاً، ما المعرفة التي يحتاجها عمل التخطيط؟ نشأ التعليم الجامعي في التخطيط من التعليم المهني، على تقليد هندسي. لكن المهنة لم تعد ملكاً منفرداً لتخصص التخطيط، بل أصبحت متعددة التخصصات في خدمة التخطيط الحضري، ولا سيما الإدارة العامة والمالية والحوكمة الاجتماعية والموارد والبيئة. ولم يعد فريق التخطيط مؤلفاً من المخططين وحدهم، بل صار تعاوناً عابراً للمهن والتخصصات. ومن ثم يواجه نموذج «المخطط الشامل» القديم تحدياً حقيقياً، وأصبح تكوين مواهب أكثر تفصيلاً وذات خصائص متميزة أمراً حتمياً. لذلك لا بد من فرز عميق ودقيق وشامل لنظام معرفة التخطيط، مع التركيز خاصة على مشكلة «ضعف الجوهر وغموض الامتداد». وهذا ليس مما يمكن الإجابة عنه بمجرد تقصير مدة الدراسة. وفي الوقت نفسه، وبالنظر إلى مسار الإصلاح الجامعي العام، لم تعد مرحلة البكالوريوس تعليمياً نخبياً كما في بدايات الإصلاح والانفتاح أو زمن إنشاء نظام التقييم المهني، بل صارت تميل إلى تعليم النوعية العامة وتكوين الكفاءات الشاملة. في هذا السياق، يبدو إنشاء تخصص بكالوريوس واحد باسم «التخطيط الحضري والريفي» على أساس «تخصص» يحمل الاسم نفسه أمراً غير ملائم. لذلك يصبح من العاجل شد حزمة المعرفة الجوهرية للتخصص، وتشجيع الجامعات المختلفة على تطبيق نماذج تعليمية ذات طابع خاص وإقليمي، وتوزيع نظام المعرفة بين البكالوريوس والدراسات العليا على نحو رشيد، بوصف ذلك شرطاً سابقاً لأي تعديل في مدة الدراسة.

أخيراً، ما نمط التعليم الذي يحتاجه عصر المعلومات؟ إن بناء التخصص رسالة مهمة لتعليم التخطيط. وقد ركز التعليم السابق على البكالوريوس، أما من منظور بناء التخصص فينبغي أن ينتقل مركز العمل تدريجياً وفي الوقت المناسب إلى الدراسات العليا. فمنذ أن أصبح التخطيط الحضري والريفي تخصصاً من الدرجة الأولى في عام 2011، لم تجر دراسة أو ترتيبات منهجية لبناء التخصصات الفرعية في مرحلة الدراسات العليا، بل ظل الأمر أقرب إلى نمط «التربية الحرة». قد يكون ذلك صعباً تجنباً في التخصصات المتقاطعة، لكنه تسبب موضوعياً في مشكلات كامنة مثل ضعف التخصصات الفرعية وضبابية البنية الكلية لنظام المعرفة.

في عصر المعلومات تؤكد المفاهيم التعليمية البحث النشط والتعلم التعاوني لدى الطالب، والتمركز حوله، والاهتمام بالفروق الفردية والنمو الشامل. ومع تنوع وسائل التعليم، وتطوير الموارد الرقمية، وبناء منصات التعلم الإلكتروني، ودخول الذكاء الاصطناعي، ستشهد طرائق تنظيم الدروس النظرية والعملية تحولاً جذرياً. وبهذا وحده يمكن معالجة ضعف موقع الطالب الفاعل وتحسين كفاءة الساعات والأرصدة الدراسية.

خلاصة القول إن للتعليم قوانينه الخاصة في التطور. وينبغي أن يتحرر تعليم التخطيط من التبعية الإدارية، وأن يعزز وعيه التخصصي، وأن ينسق موارد التعليم على مستوى أعلى، متجهاً إلى أفق جديد.

العودة إلى الأصل، والاستجابة للتغير، والإمساك بالمستقبل

YAN Fengying (أستاذة في قسم التخطيط الحضري والريفي، كلية العمارة، جامعة تيانجين؛ عضو مجموعة تقييم تخصص التخطيط الحضري والريفي في لجنة الدرجات العلمية بمجلس الدولة)

ينبغي أن يعود تطور تخصص التخطيط الحضري والريفي إلى أصله، وأن يظل ملتفاً حول الهدف الجوهرى المتمثل في خدمة التنمية عالية الجودة لبيئة العيش. وفي مواجهة تحول حاجات المجتمع والقطاع ينبغي الاستجابة للتحديات بفاعلية ومواكبة العصر. وفي العصر الرقمي الذكي، ينبغي أن تقود التقنيات المتقدمة فتح مجالات بحثية جديدة وتعزيز قدرات الحوكمة. ومن خلال دراسة المشكلات العلمية للتخطيط الدينامي وحلها، وتعزيز القدرات والملكات التي يتطلبها العصر في النظام التعليمي، سيحظى التخطيط الحضري والريفي بأفاق أوسع.

1. العودة إلى الأصل: خدمة ممارسة التخطيط

ورد في «كاوقونغ جي» من كتاب طقوس تشو: «ينشئ الحرفي العاصمة، مربعة تسعة لي، وعلى كل جانب ثلاثة أبواب؛ وفيها تسعة طرق طولية وتسعة عرضية، وعرض كل طريق تسعة مسارات للعربات؛ المعبد الأسلافي إلى اليسار ومذبح الأرض والحبوب إلى اليمين؛ القصر في الأمام والسوق في الخلف». يصف هذا النص نموذج التنظيم المكاني لعواصم الصين في عصر الربيع والخريف والممالك المتحاربة، وقد دُوّن بصيغة «معياري مهني» وانتقل بوصفه «معرفة تخصصية» لتكوين وتعليم الحرفيين الذين تولوا تخطيط وبناء العواصم، وهو ما يتيح لنا رؤية مبكرة لمعرفة التخطيط وتعليمه في الصين.

أما اليوم، فلا تزال المهمة الأساسية للتخطيط الحضري والريفي هي تحسين نمط استعمال الأرض من خلال التوزيع المكاني، وتحسين بيئة العيش، ودفع التنمية الإقليمية المستدامة. وقد تطور التخطيط من ممارسة تقنية واحدة إلى نظام تقني ومعرفي ونظري كامل يغطي إعداد المخططات وتنفيذها وإدارتها. وبين هذا المسار أن الرسالة الأساسية للتخصص والتعليم هي دائماً خدمة التنمية عالية الجودة لبيئة العيش الحضرية والريفية. لذلك يجب أن يدور تعليم التخطيط حول هذا الهدف المركزي في ابتكار المعرفة وتكوين المواهب لتلبية حاجات العصر الجديد.

2. التحديات والقضايا الرئيسية: التخطيط ومواكبة العصر

منذ القرن الحادي والعشرين يواجه قطاع التخطيط وتخصصه وتعليمه تحديات كثيرة. ومن الداخل يكمن جذر المشكلة في تأخر تطور الصناعة عن حاجات المجتمع. فالتخطيط يخدم إعداد وتنفيذ مختلف أنواع المخططات الحضرية والريفية. غير أن الطابع الساكن للنظام التخطيطي القائم لا يتلاءم مع واقع التحولات السريعة في المدن والريف. ويضعف هذا عدم التوافق قدرة التخطيط على الإرشاد والضبط، فينخفض أثره الفعلي في التنمية والحوكمة. وبالمقابل لم يتحرر نموذج تكوين المواهب من النموذج التعليمي القائم على إعداد المخططات الثابتة، مما يجعل معارف الخريجين ومهاراتهم غير قادرة تماما على تلبية حاجات حوكمة الفضاء الحضري والريفي الأكثر دينامية وذكاء، ويؤثر في عمق مشاركة المخططين واتساعها في البناء والتنمية.

ومن الخارج، منذ المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، ارتقى بناء الحضارة الإيكولوجية إلى استراتيجية وطنية، ثم طرح تقرير المؤتمر التاسع عشر بناء «منظومة الحضارة الإيكولوجية» ودفع «تحديث حوكمة الفضاء». وقد أُرست «آراء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ومجلس الدولة بشأن إنشاء منظومة تخطيط الفضاء الإقليمي والإشراف على تنفيذها» إطار التصميم الأعلى لتخطيط الفضاء الإقليمي. ولا يستجيب هذا الإطار لحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبناء الحضارة الإيكولوجية في الصين فحسب، بل يحدد أيضا اتجاه إصلاح منظومة التخطيط وابتكارها. لذلك يجب أن يواكب تطور التخصص والتعليم إيقاع العصر، وأن يسترشد بالتقدم العلمي والتقني وبحاجات الاستراتيجيات الوطنية، وأن يعدل منظومة المقررات ونمط تكوين المواهب.

3. العصر الرقمي الذكي: التخطيط والحوكمة الديناميان للمدن والريف

إن التطور المزدهر للتقنيات الجديدة، وعلى رأسها الإنترنت والبيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي، لا يمنح الفضاء الحضري والريفي قوى دفع جديدة وأشكالا جديدة لعمل عناصره فحسب، بل يقدم أيضا زاوية جديدة لإدراك بيئة العيش، ومسارا جديدا لقيادة التنمية عالية الجودة. وبما أن منظومة التخطيط الحضري والريفي جزء مهم من منظومة الحوكمة الوطنية، فعليها أن تعتمد على التقنيات الرقمية والذكاء المتقدمة لتحقيق إدراك حضري وريفي دينامي في الوقت المناسب، وإعداد خطط وقرارات علمية دقيقة للتنمية، بما يواكب تحديث منظومة الحوكمة الوطنية.

لقد وسع تقدم التقنيات مجال التخصص بدرجة كبيرة، وقدم طرائق للإدراك الرقمي الذكي والتخطيط الدينامي والحوكمة، وأغنى نظريات التخطيط الحضري والريفي وطرائقه التقنية، وقاد نمودجا جديدا للتخطيط في عصر الرقمنة والذكاء، كما ضح مضامين جديدة في تعليم التخطيط وتكوين المواهب. وتتجلى هذه المضامين في ثلاثة اتجاهات: ① الإدراك الدينامي للمدن والريف اعتمادا على جمع البيانات الآنية وتحليلها، مثل تدفقات المرور، وحركة السكان، واستعمالات الأرض، لتقديم دعم موثوق للتخطيط الدينامي؛ ② المحاكاة الزمكانية الدينامية في ظل أهداف متعددة، أي بناء نماذج دينامية تعكس تغيرات المدن والريف في الزمن الحقيقي وتساعد على المحاكاة العلمية وتحسين البدائل؛ ③ أنظمة دعم القرار الذكية المبنية على الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي، بما يرفع قدرة اتخاذ القرار الدينامي.

وعليه، ينبغي أن يغتنم بناء التخصص وتكوين المواهب فرصة العصر الرقمي الذكي، وأن يحسن محتويات المقررات وطرائق التدريس، وأن يكون كفاءات مركبة تجمع بين نظرية التخطيط، وقدرة تحليل البيانات، والمهارات التقنية التطبيقية. ولن يكون مخطط المستقبل مطالبا بامتلاك قدرة التخطيط المكاني التقليدية فقط، بل أيضا بإتقان التقنيات الرقمية والذكاء، ليصبح محركا وممارسا لحوكمة حضرية وريفية جديدة.

القيمة الجوهرية لتعليم التخطيط الحضري والريفي وتجديده الإصلاحي

WANG Shifu (نائب عميد وأستاذ في كلية العمارة بجامعة جنوب الصين للتكنولوجيا؛ عضو مجموعة تقييم تخصص التخطيط الحضري والريفي في لجنة الدرجات العلمية بمجلس الدولة؛ عضو اللجنة الفرعية التوجيهية لتعليم التخطيط الحضري والريفي في مؤسسات التعليم العالي التابعة لوزارة التعليم)

خلال ما يزيد على عقد ارتفع فيه معدل التحضر في الصين من تجاوز 50% إلى تجاوز 66%، أسس تعليم التخطيط الحضري والريفي تخصصا من الدرجة الأولى، وواصل بناءه بالتكامل بين التعليم والبحث والممارسة، وظل متصلا بدinamيات التحضر في خطوطها الأممية، متحملا مسؤوليات تكوين المواهب وإنتاج المعرفة وخدمة المجتمع. وفي المرحلة المقبلة سيتباطأ التحضر بوضوح. وستتوافق مشكلات المرحلة السريعة السابقة مع مشكلات جديدة يطرحها التطور عالي الجودة، إلى جانب إصلاح منظومة التخطيط الوطني وتحولها. كل ذلك يتطلب من تعليم التخطيط أن يحافظ على رسالته الأصلية في خدمة بناء الفضاء الجميل، وأن يستجيب بفاعلية لتحديات التغير الاجتماعي والتقدم التقني. والسؤال الملح أمام الأوساط الأكاديمية والمهنية هو كيف نبكر في إطار الاستمرارية ونبي نظاما تعليميا أعلى مستوى.

1. القيمة الجوهرية: بناء الفضاء الجميل

القيمة الجوهرية لتعليم التخطيط الحضري والريفي هي بناء فضاءات عيش حضرية وريفية ذات عاطفة محلية وحيوية غنية، عبر تصميم مكاني ابتكاري وتخطيط مكاني علمي، وبتوجيه من فكر الحضارة الإيكولوجية ومفهوم التعايش المتناغم بين الإنسان

والطبيعة، حتى تلبى باستمرار تطلع الناس إلى بيئة صالحة للسكن وحياة أفضل. إن بناء الفضاء الجميل في التخطيط ليس مهنة تقنية فقط، بل يحمل مسؤولية اجتماعية أعمق ورؤية أجمل للموئل الإنساني.

استنادا إلى الخبرة التاريخية في بناء المدن، كون تعليم التخطيط، عبر البحث التطبيقي والبناء الأكاديمي، منظومة معرفة ومهارات مهنية. ومن خلال التعليم المنهجي يكون مختصين يمتلكون «تفكيراً تخطيطياً»، ويخدم بممارسات تشاركية الحاجات المكانية للتطور الاقتصادي والاجتماعي في مراحل التحضر المختلفة. ويواصل هذا «التفكير التخطيطي» المختص التفكير في الشكل والوظيفة المكانية الموروث عن التخصص الأم، أي العمارة، كما يشتق تفكيراً تنسيقياً شاملاً يلبي حاجات الإدارة العامة. وقد تشكلت بذلك منظومة من قيم تطوير الفضاء الحضري ومبادئ التخطيط والبناء وطرائقه، تعمل عبر إعداد المخططات العامة وتنفيذها على التخصيص الرشيد لاستعمالات الأرض، وتحسين البنية المكانية للمدينة، وضمان مرافق الخدمات العامة، استجابة لاستراتيجية التحضر الوطنية وخدمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المحلية، وتعمل عبر التخطيط التفصيلي على تصميم وضبط التطوير والتجديد في الفضاء الحضري الدقيق، تلبية لحاجات الحياة والعمل.

يتكون تعليم التخطيط تحديداً من مرحلتين البكالوريوس والدراسات العليا. ففي البكالوريوس يتمحور المحتوى غالباً حول بناء المهنة، ويُتخذ تدريب القدرة على تخطيط وتصميم الأشكال المبنية الاصطناعية، الوظيفية والجميلة والملائمة مكانياً، هدفاً أساسياً للتعليم. ويتبع التدريس قانون التعلم الذي يبدأ من التدريب على الجماليات المكانية، ويتدرج من المقياس الصغير إلى الكبير، ومن الموضوع السهل إلى الصعب، ومن المشكلة البسيطة إلى المركبة. ويستخدم التصميم خطاً رئيساً لتدريب القدرة الشاملة، ومقررات المبادئ والنظريات خطاً رئيساً لتدريب المنهجية، بهدف تكوين مختصين قادرين على بناء فضاءات جميلة متعددة المقاييس تلبى حاجات سوق التخطيط والتصميم المكاني الأساسية. أما الدراسات العليا فتتمحور حول بناء التخصص، وتعزز الارتباط بين البحث الحضري وقضايا التخطيط المهنية المتقدمة. ويقود الأساتذة عادة البحث والممارسة في اتجاهات محددة، ويوجهون اختيار الموضوعات ورسائل الدرجات، بحيث يتم على أساس قدرة التصميم المكاني المكتسبة في البكالوريوس تكوين قدرات أوسع، مثل تحليل المشكلات، والبحث الميداني، والتفكير المنطقي، والتنسيق الشامل، تلبية لحاجات القطاع إلى كفاءات عالية المستوى. ومن منظور بناء هيئة التدريس في الجامعات ونتائج تكوين المواهب في القطاع، فإن قادة التخطيط يحتاجون غالباً إلى أساس مهني متين في التصميم المكاني، وإلى بحث حضري منهجي وقدرة تنسيقية شاملة، وإلى صقل الممارسة التطبيقية، وهذا كله يجسد القيمة الجوهرية لتعليم التخطيط في بناء الفضاء الجميل وتحقيقه.

2. تجديد تعليم التخطيط: نحو علم الفضاء

لا يتعلق التخطيط الحضري والريفي بملاءمة وجمال البناء المكاني فقط، بل يمتد إلى قضايا واسعة مثل حماية البيئة، والانسجام الإيكولوجي، ونقل الثقافة، والحوكمة الاجتماعية، والتنسيق الحضري الريفي. ومع التطور السريع لتعليم التخطيط، برزت مشكلات عميقة، منها ضعف فهم القوانين المكانية وقصور التكامل بين التخصصات. فقد توسعت منظومة تخطيط الفضاء الإقليمي من البيئة المبنية الحضرية والريفية التقليدية إلى المجال الكلي وكل العناصر، مما يتطلب دعماً نظرياً ومهارات عملية أشمل؛ وفي الوقت نفسه، تقدم التقنيات مثل البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي أدوات جديدة لاتخاذ قرارات التخطيط المكاني، لكنها قد تولد مخاطر الاعتماد التقني بما يعجز عن مواجهة تعقيد الواقع.

أمام هذه التحديات الجديدة، لا بد من تجديد شامل. فمن حيث المناهج، ينبغي الابتكار في تقنيات وأساليب التحليل المكاني، ودمج الأساليب الكمية والنوعية، والبحث في القوانين العميقة للتطور المكاني. ومن حيث المعرفة، ينبغي تعزيز التكامل مع العلوم البيئية والعلوم الاجتماعية والإدارة العامة والاقتصاد وغيرها، وبناء منظومة معرفة متعددة التخصصات. ومن حيث التعليم، ينبغي إدخال المشكلات الواقعية والتقنيات الرقمية في عملية التعلم، وتكوين قدرة الطلاب على الفهم العلمي للفضاء والتصميم الإبداعي له والحوكمة العملية. وبهذا ينتقل تعليم التخطيط من الاعتماد على الخبرة والمهارة إلى علم مكاني أشمل وأكثر رسوخاً.

من خلال هذه الإصلاحات، يمكن لتعليم التخطيط الحضري والريفي أن يجدد نفسه مع الحفاظ على قيمته الجوهرية، وأن يبني منظومة تعليمية أقدر على خدمة التنمية عالية الجودة، وعلى مواجهة التحول الاجتماعي والتقني، وعلى تكوين مواهب تستطيع بناء فضاءات أفضل في المستقبل.

تأملات في الإصلاح «بحسب المستوى والنوع» لتعليم التخطيط الحضري والريفي في ضوء قانون الدرجات العلمية الجديد

ZHANG Yue (أمينة لجنة الحزب وأستاذة في كلية العمارة بجامعة تسينغهاوا؛ نائبة رئيس اللجنة الفرعية التوجيهية لتعليم التخطيط الحضري والريفي في مؤسسات التعليم العالي التابعة لوزارة التعليم)

دخل «قانون الدرجات العلمية لجمهورية الصين الشعبية» حيز التنفيذ في 1 يناير 2025، وألغى «لائحة الدرجات العلمية لجمهورية الصين الشعبية». ويوفر هذا القانون الجديد أساساً مهماً لدفع إصلاح تعليم التخطيط الحضري والريفي. ومن زاوية

«التكوين بحسب المستوى والنوع»، يحتاج التعليم في هذا التخصص إلى إعادة ضبط علاقات البكالوريوس والماجستير المهني والماجستير الأكاديمي والدكتوراه، وتوضيح مواقعها المختلفة في منظومة تكوين المواهب.

1. تكوين الماجستير المهني

مع التوسع التدريجي لوزارة التعليم في حجم الماجستير المهني، ومساواة درجته بالماجستير الأكاديمي، أصبح تكوين الماجستير المهني في التخطيط الحضري والريفي حلقة مهمة بين التعليم والممارسة. وينبغي أن يبرز هذا التكوين توجهه المهني والتطبيقي، وأن يخدم حاجات الصناعة إلى مختصين قادرين على حل المشكلات العملية.

(1) تزايد نقاط منح الدرجة وحجم الطلاب. تشير إحصاءات غير مكتملة للجنة التوجيهية إلى أن عدد الجامعات المؤهلة لمنح الماجستير المهني في التخطيط الحضري والريفي قد ازداد بوضوح، كما اتسع حجم الطلاب. وهذا يعكس من جهة طلب المجتمع والقطاع على الكفاءات التطبيقية، ويفرض من جهة أخرى تحديات على جودة التدريب.

(2) اتساح مجالات المهنة تدريجياً. في العرض الجديد للتخصصات والفروع، أصبح التخطيط الحضري والريفي أكثر ارتباطاً بمجالات عملية مثل تخطيط الفضاء الإقليمي، والتجديد الحضري، والحوكمة المكانية. ويقتضي ذلك من برامج الماجستير المهني أن تبنى محتواها حول مشكلات حقيقية، وأن تعزز القدرة على الربط بين التخطيط والتنفيذ والإدارة.

(3) تقوية المقررات والحلقات العملية. إن التدريب غير المميز بين الطلاب الأكاديميين والمهنيين لم يعد مناسباً. وينبغي أن يشمل الماجستير المهني على مشاغل ومشاريع وممارسات ميدانية أكثر، وأن يقيم آلية إشراف مشترك بين الجامعة والقطاع، بحيث يتعلم الطلاب في سياقات عمل حقيقية.

(4) تنوع أنواع الرسائل. إلى جانب الدراسات الموضوعية التقليدية، يمكن أن تتخذ رسائل الماجستير المهني أشكالاً مثل التصميم التخطيطي، والتقرير الاستشاري، وتحليل الحالة، وخطة التنفيذ، بما يعكس قدرة الطالب على معالجة المشكلات العملية وتحويل المعرفة إلى حلول.

(5) التوجه نحو التوظيف في القطاع. ينبغي أن يرتبط تكوين الماجستير المهني بحاجات مؤسسات التخطيط والإدارات الحكومية والشركات والمنظمات الاجتماعية. ويجب أن يكون تقييم جودته مرتبطاً بقدرة الخريجين على الاندماج في العمل المهني والمساهمة فيه.

2. تكوين الماجستير والدكتوراه الأكاديميين

بحسب «رأي وزارة التعليم حول تعميق التنمية المتميزة لتكوين الدرجات الأكاديمية والمهنية»، ينبغي أن يبرز تكوين الدرجات الأكاديمية مهمة إنتاج المعرفة وبناء التخصص وتكوين المواهب البحثية. وبالنسبة إلى التخطيط الحضري والريفي، ينبغي للماجستير الأكاديمي والدكتوراه أن يرسخا نظام المعرفة وأن يطورا النظريات والمناهج.

(1) توضيح مضمون التخصص ونظام المعرفة. بعد إنشاء التخصصات من الدرجة الأولى، ينبغي أن يحدد التخطيط الحضري والريفي جوهره العلمي وقضاياه الأساسية وحدوده المعرفية. ولا بد من بناء منظومة معرفة تتضمن نظرية التخطيط، والمنهجية المكانية، والتاريخ والثقافة، وحوكمة الفضاء، والتقنيات الرقمية، حتى يصبح البحث أكثر تراكمية ومنهجية.

(2) تنظيم منح الدرجات حول الدكتوراه. يشير الرأي المذكور إلى أن إنشاء وحدات منح الدرجات الأكاديمية ينبغي أن يتمركز حول الدكتوراه. وهذا يعني أن بناء التخصص لا ينبغي أن يقتصر على الماجستير، بل يجب أن يعزز القدرة البحثية العليا، ويكون فرق بحث مستقرة، ويقود الطلاب إلى إنتاج معرفة أصلية.

3. تكوين البكالوريوس

مع انتقال المكونات المهنية أكثر فأكثر إلى الماجستير المهني، تواجه مؤسسات البكالوريوس العادية سؤالاً مهماً: كيف تحدد موقع تعليم البكالوريوس؟ ينبغي أن يركز البكالوريوس على الأساس العام، وعلى بناء التفكير المكاني والقيم المهنية، وأن يوفر قاعدة واسعة للتخصص اللاحق، بدلاً من محاولة استيعاب كل المهارات المهنية في مرحلة واحدة.

(1) بناء البرامج بصيغة «كتل + تخصصات خاصة». إن المراجعات المتتالية لدليل التخصصات تفتح المجال أمام بناء كتل تعليمية مترابطة. ويمكن أن تشكل الجامعات قاعدة مشتركة في التصميم المكاني، وفهم المدينة، والتقنيات الرقمية، ثم تطور تخصصات دقيقة مميزة بحسب قدراتها الإقليمية والبحثية.

(2) تصغير وحدات المقررات المهنية. تتجه جامعات بحثية كثيرة إلى القبول حسب فئات عريضة وإلى التعليم العام. وفي هذا السياق ينبغي أن تصبح وحدات التخطيط المهنية أصغر وأكثر مرونة، بما يسمح للطلاب من خلفيات مختلفة بتعلم عناصر تخطيطية أساسية، ويسمح في الوقت نفسه لطلاب التخطيط ببناء مسارات شخصية متخصصة في الماجستير أو في العمل.

الحذر من ترك الجذر لأجل الفروع: دفع التكامل والامتداد

HUANG Yaping (أستاذ رئيسي من «باحثي هواتشونغ المتميزين» في كلية العمارة والتخطيط الحضري، جامعة هواتشونغ للعلوم والتكنولوجيا؛ عضو مجموعة تقييم تخصص التخطيط الحضري والريفي في لجنة الدرجات العلمية بمجلس الدولة)

منذ عشرينيات القرن الحادي والعشرين، جلب إصلاح تخطيط الفضاء الإقليمي وتحول نمط التنمية الحضرية تغيرات عميقة إلى تخصص التخطيط. وظهرت في الأوساط التعليمية والمهنية نقاشات كثيرة حول كيفية إعادة بناء المناهج، وتقصير مدة الدراسة، وتوسيع حدود التخصص. غير أن أي إصلاح ينبغي ألا يغفل عن سؤال أساسي: ما جذر التخطيط الحضري والريفي، وما الفروع التي يمكن أن تمتد منه؟

1. تغير «الزمان» و«الشأن» يجعل التحول ضروريا

في التحولات العميقة الراهنة، يتمثل التغير الأول في نمط التنمية الحضرية: فقد انتقلت المدن من التوسع بالزيادات الجديدة إلى مرحلة التجديد والتشغيل. ولم تعد القضايا الرئيسية تقتصر على بناء مناطق جديدة، بل أصبحت تشمل تحسين الفضاءات القائمة، ومعالجة المشكلات الاجتماعية، وإصلاح البيئة الإيكولوجية، ورفع جودة الحياة. أما التغير الثاني فهو تغير نظام التخطيط ذاته: فقد حل تخطيط الفضاء الإقليمي محل أنظمة التخطيط القطاعية السابقة، وامتد موضوع التخطيط من البيئة المبنية إلى كامل الإقليم وكل العناصر. وهذه التغيرات تفرض على تعليم التخطيط أن يتكيف وأن يوسع مجال رؤيته.

2. الاستجابة للأزمة من غير تشخيص خاطئ

في عصر ما بعد البناء، أصبح التوسع الحضري واسع النطاق جزءا من الماضي، وثبتت البنى الأساسية إلى حد كبير، وتراجعت عوائد التطوير العقاري، فظهر قلق في تخصص التخطيط: هل فقد التخطيط مجال عمله؟ وهل ينبغي أن يتحول إلى مجالات أخرى؟ وفي هذا السياق ظهرت أصوات تدعو إلى «الإدارة»، وأخرى إلى «التقنية»، وثالثة إلى «التشغيل».

يرى تيار «التشغيل» أن التحضر انتقل من نمو يقوده رأس المال إلى نمو يقوده التشغيل، وأن على التخطيط أن يخدم إدارة المدن وتشغيل الأصول. ويرى تيار «التقنية» أن البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي كفيلان بإعادة بناء التخطيط. أما تيار «الحكومة» فيشدد على أن قضايا المدن أصبحت قضايا إدارة عامة ومشاركة اجتماعية. وهذه الآراء تنطوي على قدر من الصواب، لكنها إذا فهمت بمعزل عن جذر التخطيط فقد تقود إلى إضعاف جوهره.

فمن زاوية تطور التخطيط من البيئة المادية إلى التخطيط الشامل، تبدو هذه المواقف مبررة جزئيا. غير أن ما ينبغي الانتباه إليه هو أن الفضاء ظل دائما وسيطا أساسيا للتخطيط. فإذا تخلى تعليم التخطيط عن القدرة على فهم الفضاء وتصميمه وتنظيمه، فلن يستطيع أن يؤدي دوره حتى في الإدارة والتقنية والتشغيل. لذلك يجب أن يكون الإصلاح علاجا للمشكلة لا استبدالاً للهوية.

3. تقوية الأساس وتطوير امتدادات متعددة

لقد أسهمت أكثر من أربعين سنة من ممارسات التخطيط منذ الإصلاح والانفتاح في تطور التحضر الصيني، وكوّنت تجربة ثرية في التخطيط العام والتفصيلي والتصميم الحضري وحماية المدن التاريخية وغيرها. لكن هذه التجربة تكشف أيضا أن القدرة الأساسية للتخطيط تكمن في تنظيم الفضاء وتوجيهه.

تقوية الأساس تعني الحفاظ على «التخطيط والتصميم المكانيين» بوصفهما جذر المهنة. وبعد المشاركة في مشاريع تخطيط كثيرة، يتضح أن المخطط لا يستطيع معالجة المشكلات المعقدة إلا إذا امتلك قدرة راسخة على قراءة الفضاء، وفهم علاقاته، وصوغ بنيته. وهذه القدرة لا تأتي من الشعار ولا من التقنية وحدها، بل من تدريب طويل على الرسم والتحليل والتصميم والحكم المكاني.

في المرحلة الجديدة، يعني «تقوية الأساس والحفاظ على الطريق الصحيح» أن نتمسك بتخطيط الفضاء الإقليمي بوصفه إطارا شاملا، وأن نحافظ داخل هذا الإطار على صلابة التدريب في التخطيط والتصميم المكانيين. وينبغي أن يظل التعليم يدرّب الطلاب على العلاقة بين الشكل والوظيفة، وبين الموقع والشبكة، وبين الفضاء والمجتمع، وبين التخطيط والتنفيذ.

أما «الامتدادات المتعددة» فتشير إلى مجالات «التخطيط والتصميم المكانيين +». وتشمل أساسا اتجاهين: الأول هو الاندماج مع العلوم الاجتماعية والإدارية والاقتصادية والإيكولوجية لتعزيز قدرة التخطيط على الفهم الشامل والتنسيق؛ والثاني هو الاندماج مع التقنيات الرقمية والذكائية لتعزيز قدرة التخطيط على الإدراك والتحليل والمحاكاة واتخاذ القرار. وبذلك لا تعني الفروع التخلي عن الجذر، بل نموه في اتجاهات أوسع.

من نقل المعرفة المهنية إلى تحفيز التفكير التخطيطي

HUA Chen (أستاذ في كلية الهندسة المدنية والعمارة بجامعة تشجيانغ؛ عضو اللجنة الفرعية التوجيهية لتعليم التخطيط الحضري والريفي في مؤسسات التعليم العالي التابعة لوزارة التعليم)

في المستقبل سيحمل كثير من الأساتذة درجة الدكتوراه. ومن الطبيعي أن يوجه المرء طلاب الدكتوراه انطلاقاً من خبرته الأكاديمية الخاصة. لكن تعليم البكالوريوس أو التعليم المستمر لا يمكن أن يكتفي بنقل المعرفة المتخصصة، بل ينبغي أن يهتم بدرجة أكبر بتنمية قدرة التفكير التخطيطي. ويعني ذلك أن التعليم لا بد أن ينتقل من الإجابة عن «ماذا نعرف» إلى تحفيز «كيف نفكر».

إن التعليم المحصور في المعرفة المهنية لا يستثمر الطاقة التعليمية كاملة. فليس كل الطلاب سيصبحون مخططين محترفين، لكن معظمهم سيعيشون ويعملون في المدن، وسيحتاجون إلى فهم قضايا الفضاء والبيئة والمجتمع. لذلك ينبغي لتعليم التخطيط أن يقدم طريقة تفكير تساعد على رؤية العلاقات، وتوقع النتائج، واتخاذ المواقف المسؤولة.

1. عندما تتوافر لدى المعلم والطالب معلومات متكافئة

يملك طلاب البكالوريوس اليوم كتباً ومواد مساعدة وصوراً وندوات ومنتديات مهنية وكمية كبيرة من موارد الشبكة. ولم يعد الأستاذ المصدر الوحيد للمعلومات. وعندما تكون المعلومات متاحة للجميع، يصبح دور الأستاذ هو تنظيم السؤال، وتوجيه التفكير، وفتح زوايا جديدة، لا مجرد إلقاء الحقائق.

إذا كان الطلاب نادراً ما يتكلمون، فقد يكون السبب أن الأستاذ استحوذ على الوقت كله، أو أن الطلاب لا يتوقعون إجابات مفيدة من النقاش. لذلك ينبغي أن يخلق التدريس مساحات حقيقية للحوار، وأن يسمح للطلاب بإظهار فهمهم وحيرتهم، حتى يتحول الصف إلى عملية بحث مشتركة.

2. عندما يريد غير المتخصصين تعلم التخطيط

غالباً ما تستهدف برامج التعليم المستمر في كليات التخطيط كوادراً حكومية وغيرهم من غير المتخصصين. وهؤلاء لا يحتاجون بالضرورة إلى تعلم كل التقنيات المهنية، بل يحتاجون إلى فهم منطق التخطيط وأدواته الأساسية، وأن يعرفوا كيف يقرأون مدينة أو منطقة أو مشروع تجديد. لذلك ينبغي أن تكون المقررات أكثر تركيزاً على التفكير والقيم والتواصل.

3. عندما يصبح تعلم التخطيط مرناً

إن خطط الدراسة في كليات التخطيط ممتلئة بالفعل؛ وكل طلب جديد إلى معرفة أو مهارة يعد «ضرورياً». لكن إضافة المزيد من المحتوى إلى جدول مزدحم لن تحل المشكلة. المطلوب هو بناء تعليم أكثر مرونة: وحدات صغيرة، ومقررات اختيارية، وتعليم قائم على المشكلات، ومسارات مختلفة بحسب حاجة الطلاب.

ينبغي أن تُدخل المقررات، قدر الإمكان، مضامين تشكل تحدياً للأساتذة والطلاب معاً، لا أن تكرر حقائق معروفة. فالمعرفة التي يمكن للذكاء الاصطناعي أو محرك البحث أن يقدمها بسرعة لا ينبغي أن تحتل قلب التعليم؛ أما الأسئلة المفتوحة، والحكم القيمي، والتخيل المستقبلي، فهي ما يستحق وقت الصف.

4. عندما ينمي تعليم التخطيط «حاصل الاستشراق»

التخطيط نشاط يدور حول الفضاء ومشكلات المدينة، لكن كل المجالات تقريبا تحتاج إلى نوع من التفكير المستقبلي. فالتخطيط ليس التنبؤ بما سيحدث فقط، بل هو بناء سيناريوهات، وتقييم بدائل، والتفكير في الآثار غير المقصودة، والاختيار بين قيم متعارضة.

في عصر الذكاء الاصطناعي، لا ينبغي للتعلم المهني أن ينتج مزيداً من جامعي الحقائق أو ناقلي الأخبار أو منفذي الأوامر، بل ينبغي أن يكون أشخاصاً قادرين على طرح أسئلة أفضل، وفهم التعقيد، واتخاذ قرارات مسؤولة. وهذا هو المعنى الأعمق لتعليم التخطيط.

دور التجديد الحضري في تحول التخصص وتعليم التخطيط

YANG Jianqiang (أستاذ في كلية العمارة بجامعة الجنوب الشرقي؛ رئيس لجنة التجديد الحضري في الجمعية الصينية للتخطيط الحضري)

في السياق العام للحضارة الإيكولوجية، والتنمية الوطنية المتكاملة، وتحديث الحوكمة، وتحديث المدن، أصبح التجديد الحضري مجالاً رئيساً لاختبار قدرة التخطيط. وهو لا يغير موضوعات الممارسة فحسب، بل يدفع أيضاً تحول المعرفة والأساليب في تعليم التخطيط.

في عصر التجديد، يصبح نموذج مالية الأرض أقل قابلية للاستمرار، ويتراجع التطوير واسع النطاق، بينما تزداد أهمية إصلاح المخزون وتحسين الجودة. لم تعد مشكلات التخطيط مجرد كيفية بناء مناطق جديدة، بل أصبحت كيفية التعامل مع الأحياء القديمة، والسكان الأصليين، ومصالح متعددة، وتراث تاريخي، وبنية تحتية، ومشكلات بيئية. وهذا يفرض على تعليم التخطيط أن يخرج من منطق «الموقع الفارغ» إلى منطق «المكان المركب».

أولاً، يجب بناء منظومة نظرية ومنهجية للتجديد الحضري تناسب ظروف الصين وتحسن نظام المعرفة في التخطيط. فالتجديد الحضري يتضمن علاقات بين الحكومة والسوق والمجتمع، وبين الحماية والتطوير، وبين العدالة والكفاءة. وينبغي للتعليم أن يقدم أدوات لفهم هذه العلاقات، لا أن يكتفي بتعليم التصميم الشكلي.

ثانياً، ينبغي لتعليم التخطيط أن ينشئ مقررات ونماذج تكوين تتناسب مع التجديد. فمشاريع التجديد تحتاج إلى بحث اجتماعي، ومشاركة عامة، وتقييم اقتصادي، وتصميم حضري دقيق، وآليات تنفيذ. لذلك ينبغي أن تنظم الدروس حول حلقات عملية كاملة، وأن تربط التحليل بالمخطط والتنفيذ والتقييم.

أخيراً، ينبغي تعزيز تطبيق التقنيات الرقمية والذكاء في التعليم، مع التركيز على التحليل الدقيق للفضاء القائم، ومحاكاة سيناريوهات التجديد، وإدارة العمليات. ويمكن للبيانات المتعددة المصادر، والنماذج الرقمية، والذكاء الاصطناعي أن تساعد الطلاب على فهم الديناميات المعقدة للمناطق الحضرية، لكنها يجب أن تخدم الحكم التخطيطي لا أن تحل محله.

التجدد في الوقت المناسب للاستجابة للتغير

LENG Hong (أستاذة في كلية العمارة والتصميم بمعهد هارين لل تكنولوجيا؛ مديرة المختبر الرئيسي لتخطيط وتصميم المدن والريف الباردة في مقاطعة هيلونغجيانغ)

يعمل خريجو التخطيط الحضري والريفي في التخطيط والتصميم والاستشارات والإدارة وصنع القرار والبحث. ومع تغير نظام التخطيط الوطني وتطور حاجات المجتمع، يجب أن يواكب التعليم هذه التغيرات في الوقت المناسب، حتى لا تصبح المعرفة والمهارات التي يقدمها متأخرة عن الممارسة.

في سياق التحضر الجديد والحضارة الإيكولوجية ومنظومة تخطيط الفضاء الإقليمي، لم يعد مطلوباً من المخطط أن يعرف المدينة فقط، بل أن يفهم الإقليم، والقرية، والموارد، والبيئة، والبنية التحتية، وأن ينسق بين عناصر متعددة. لذلك ينبغي للتعليم أن يعيد تحديد مضمونه ومناهجه.

من حيث المحتوى، يجب أن يتعمق التعليم أولاً من الفضاء الحضري والريفي إلى الفضاء الإقليمي. فلا يمكن لأي تخصص أن يغطي كل العناصر وحده، لكن التخطيط يحتاج إلى قدرة على الفهم الكلي والتنسيق بين العناصر. وينبغي إدخال موضوعات مثل الموارد الطبيعية، والبيئة الإيكولوجية، وأنظمة البنية التحتية، والمرونة الحضرية، وحوكمة المخاطر، في منظومة المقررات.

ومن حيث الطريقة، ينبغي أن يواصل تعليم التخطيط الجمع بين تعلم الصف والممارسة التطبيقية، وأن يعزز في الوقت نفسه التفاعل بين «التعليم» و«التعلم». ويمكن للتقنيات مثل الواقع الافتراضي والنماذج الرقمية والمحاكاة الذكية أن تجعل العمليات المكانية أكثر قابلية للرؤية والتجربة، وأن تساعد الطلاب على الفهم النشط بدلاً من التلقي السلبي.

نماذج متعددة ومسارات متميزة: تعليم التخطيط الحضري والريفي في مواجهة مستقبل غير يقيني

CHEN Zhiduan (نائب عميد وأستاذ مشارك في كلية العمارة والتخطيط الحضري بجامعة بكين للهندسة المعمارية والمدنية)

إن تغير مرحلة التنمية الحضرية، وإصلاح المهنة، وتحول وظائف الإدارة، والتغير التقني، كلها تجعل مستقبل تعليم التخطيط الحضري والريفي أكثر تعقيداً ولا يقيناً. ولا يمكن لنموذج واحد أن يستجيب لجميع الحاجات. لذلك ينبغي بناء نماذج تكوين متعددة ومسارات متميزة، بما يعزز مرونة التخصص وقدرة الخريجين على التكيف.

1. صدمة التنمية: لا يقينية البيئة المهنية

يواجه قطاع التخطيط الحضري والريفي بيئة تنمية معقدة ومتغيرة. فمن جهة، يتباطأ التحضر التقليدي القائم على التوسع، وتضعف بعض أسواق التخطيط؛ ومن جهة أخرى، تظهر حاجات جديدة في تخطيط الفضاء الإقليمي، والتجديد الحضري، والحوكمة المجتمعية، والإصلاح الإيكولوجي، والتحول الرقمي. وفي ظل هذه المفارقة، لم يعد يكفي تدريب جميع الطلاب على نموذج مهني واحد.

2. تكرار المنظومة: التغير المعاصر والابتكار التخصصي

نشأ التخطيط الحديث وتحول مرات عدة بفعل تغير القيم والأهداف. فقد مر من الاهتمام بالصحة العامة والإصلاح الاجتماعي إلى التخطيط الشامل، ثم إلى الاستدامة والحوكمة والتجديد. وكل تحول كان يطلب من التعليم إعادة تنظيم نظام المعرفة والمهارات.

كان نظام المعرفة التقليدي يدور حول نمو الفضاءات الجديدة، ويتخذ الهندسة والعمارة أساساً رئيساً. أما اليوم، فقد اتسع الموضوع إلى إدارة الفضاء القائم، وحوكمة الموارد، والعدالة الاجتماعية، والمرونة، والتقنيات الرقمية. لذلك ينبغي أن يتحول التعليم من منظومة خطية مغلقة إلى منظومة مفتوحة قابلة للتكرار، تسمح بإضافة وحدات جديدة وتحديث محتواها باستمرار.

3. التكيف المرن: نماذج تعليمية متميزة ومتدرجة

في مرحلة التحضر السريع شهد تعليم التخطيط توسعا كبيرا. وفي عام 2024 كان لدى 229 جامعة صينية برنامج في التخطيط الحضري والريفي. غير أن تفاوت الجامعات والمناطق والطلب المهني يعني أن نموذج التكوين الموحد لم يعد مناسباً.

تواجه الجامعات الرائدة، ولا سيما الجامعات الشاملة، ضغط قبول شديداً، لكنها تمتلك موارد بحثية وتخصصات داعمة قوية، ويمكن أن تركز على تكوين النخب البحثية والقيادية. أما الجامعات المحلية والتطبيقية فينبغي أن ترتبط بحاجات الأقاليم، وأن تكون مواهب قادرة على حل مشكلات التخطيط والتنفيذ في المدن والبلدات المحلية.

في سياق تقصير مدة الدراسة واستمرار ضغط توسيع حدود التخصص، يمكن بناء أنظمة معيارية. فتوفر مرحلة البكالوريوس أساساً مشتركاً في التفكير المكاني والقيم والأدوات، ثم توفر الماجستير المهني مسارات تطبيقية، والماجستير والدكتوراه الأكاديميان مسارات بحثية. وبهذا تتحقق «المرونة» على مستوى النظام كله، لا بتحميل طالب واحد كل المعارف.

توجيهات لتكوين محترفي التخطيط انطلاقاً من الخصائص الأساسية الثلاث للتخصص

ZHUO Jian (رئيس قسم التخطيط الحضري وأستاذ في جامعة تونغجي)

يقف تعليم التخطيط في الصين عند لحظة حاسمة من التحول. فهو يواجه تغير مرحلة التحضر، وبناء منظومة تخطيط الفضاء الإقليمي، وتقدم التقنيات الرقمية والذكاء، وتنوع الطلب على المواهب. وفي مثل هذه اللحظة، لا بد من العودة إلى الخصائص الأساسية للتخصص لصوغ اتجاهات التكوين.

مع تميز المسارات المؤسسية، يصبح من الملح تكوين إجماع حول جوهر التخصص. ويمكن النظر إلى التخطيط الحضري والريفي من ثلاث خصائص: تعدد التخصصات، وقوة الممارسة، وطابع السياسة العامة. وينبغي أن تنطلق إصلاحات التعليم من هذه الخصائص.

أولاً، التخطيط الحضري والريفي متعدد التخصصات. فمنذ نشأة التخطيط الحديث، ظل يستفيد من العمارة والهندسة والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والإدارة والبيئة وغيرها. لكن تعدد التخصصات لا يعني فقدان الجوهر، بل يتطلب وضوحاً أكبر في المعرفة الأساسية وآليات التكامل.

(1) توضيح جوهر المعرفة. ينبغي تقليل حجم المقررات الإلزامية المبعثرة، وبناء حد أدنى من الجوهر يغطي معرفة المدينة والفضاء، ونظرية التخطيط، وطرائق التحليل والتصميم، والقيم المهنية. وهذا الجوهر هو ما يسمح للطلاب بالتفاعل مع التخصصات الأخرى من دون فقدان الهوية.

(2) بناء عناقيد تخصصية منظمة. ينبغي تشجيع التقاطعات التخصصية والنقاط الجديدة في البحث، لكن على مستوى التعليم يمكن تنظيمها في عناقيد مثل التخطيط والبيئة، التخطيط والحوكمة، التخطيط والتقنية الرقمية، التخطيط والتجديد، حتى لا يتحول التوسع إلى تشتت.

(3) إنشاء آليات تكوين متميزة. ومع اتساع نظام المعرفة، لم يعد «المحارب السداسي» الشامل واقعياً. ينبغي السماح للطلاب باختيار مسارات مختلفة على أساس جوهر مشترك، وأن يتكونوا إما كمخططين تصميميين، أو كباحثين، أو كمديرين حوكمة، أو كخبراء تقنيين، بحسب ميولهم وحاجات المجتمع.

ثانياً، يتميز التخطيط الحضري والريفي بقوة الممارسة. فقد نشأ التخطيط الحديث وهو يحمل رسالة تغيير الواقع وتحسين المدن. لذلك لا يمكن أن يكون تعليم التخطيط تعليماً نظرياً مغلقاً، بل يجب أن يرتبط دائماً بالموقع والمجتمع والمشروع والسياسة.

(1) تعزيز تطبيق نتائج البحث. إن التصميم المبني على البحث شكل فعال من أشكال التكوين. وينبغي أن تتحول نتائج البحث في التجديد الحضري، والفضاء العام، والبيئة الإيكولوجية، والحوكمة الرقمية إلى موضوعات ومناهج تعليمية، حتى يتعلم الطلاب من خلال البحث والممارسة في آن واحد.

(2) توسيع التعليم المتكامل بين الحكومة والصناعة والجامعة والبحث. إن الجمع بين النظرية والممارسة جزء من تقليد التخطيط. وينبغي إقامة منصات تعاون مع الحكومات المحلية، ومؤسسات التخطيط، والمجتمعات، والشركات، لكي يشارك الطلاب في مشكلات حقيقية ويختبروا القيود والمسؤوليات.

(3) الاستجابة النشطة للتحولات الرقمية والذكاء. يمكن للبيانات متعددة المصادر، وقدرات الحوسبة، والخوارزميات أن تغير أدوات التخطيط. لكن التعليم يجب أن يربط هذه الأدوات بالمشكلة الحضرية والقيمة العامة، وأن يمنع اختزال التخطيط إلى تشغيل تقني.

ثالثاً، للتخطيط الحضري والريفي طابع قوي من السياسة العامة. ففي رسالة إلى خريجي عام 1981 من جامعة تونغجي، قيل إن التخطيط لا ينفصل عن مصير المدينة والناس. وهذا يعني أن المخطط لا يقرر الشكل المكاني فقط، بل يشارك في توزيع الموارد والمصالح.

(1) تعزيز القيم المهنية. من خلال مقررات القيم ودراسات القضايا، يجب أن يفهم الطلاب أن التخطيط مرتبط بالعدالة، والمصلحة العامة، والاستدامة، والكرامة الإنسانية، وأن يتعلموا اتخاذ مواقف مسؤولة في المواقف المعقدة.

(2) تنمية مسؤولية خلق القيمة. بوصفه سياسة عامة، يؤدي التخطيط دوراً مهماً في تخصيص الموارد وتوجيه الاستثمار وتحسين الرفاه. لذلك ينبغي للتعليم أن يكون قدرة الطلاب على إدراك القيمة وخلقها وموازنة المصالح المختلفة، لا الاكتفاء بإنتاج رسوم أو نصوص.

(3) تكوين شخصية مهنية كاملة. يجب تعزيز القيادة، وقدرات الكتابة الإدارية، والتواصل، والتنسيق، والتفاوض، وأخلاقيات المهنة. فالمخطط في المستقبل يحتاج إلى شخصية مهنية تستطيع العمل وسط فرق متعددة الأطراف، وأن تدافع عن المصلحة العامة بوضوح ومسؤولية.

تاريخ المراجعة: يناير 2025

(تُرجم هذا المقال بمساعدة الذكاء الاصطناعي.)